الحنونة للثقافة الشعبية

تصدر عن جمعية الحنونة للثقافة الشعبية | السنة الخامسة

١١



الكرك
تاريخ وشموخ

شريف كناعنة..
لا خوف على التراث الفلسطيني

المخدّات
لوحات فنية تعكس روح المرأة

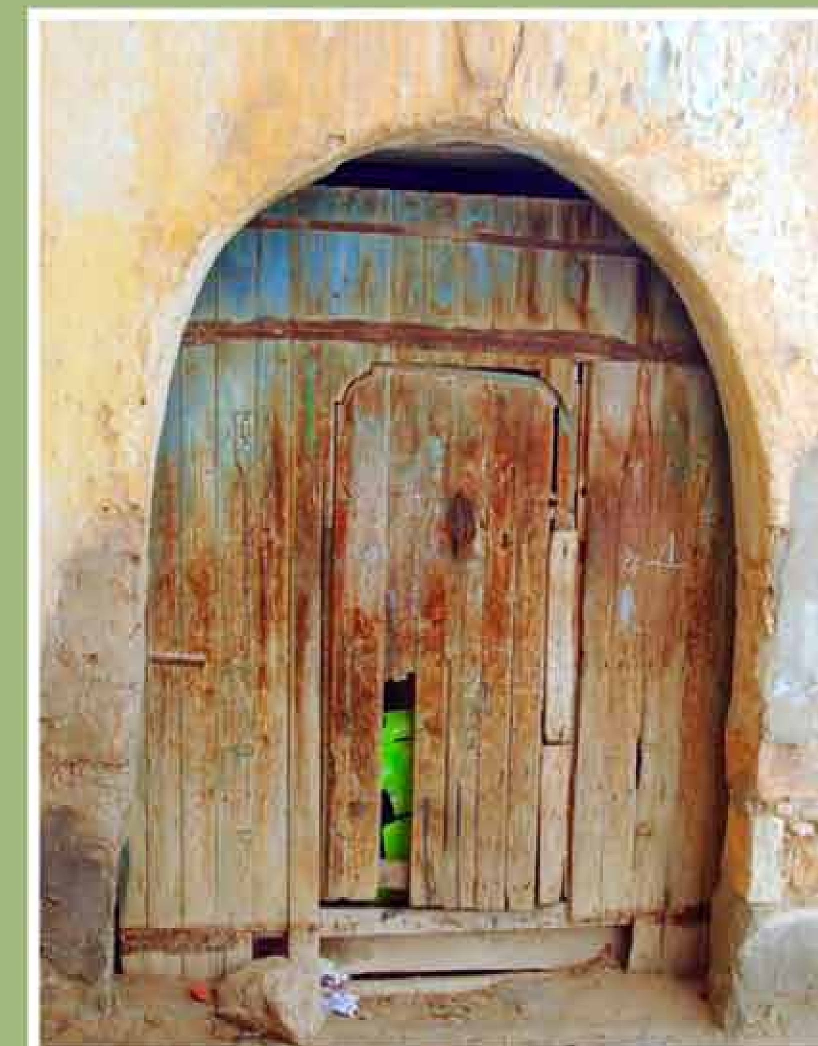
طقوس الزواج في جزيرة فرسان

الزي الشعبي في السقيلبية السورية
اللباس الملكي

الحنونة للثقافة الشعبية

تصدر عن جمعية الحنونة للثقافة الشعبية | السنة الخامسة

العدد ١١



ISSN 9 780261 795129

11
الحنّونه للثقافة الشعبية ®
تصدر عن جمعية الحنونة للثقافة الشعبية | السنة الخامسة

جميع المراسلات باسم
رئيس التحرير المسؤول على العنوان الآتي:
البريد الإلكتروني:
magazine@alhannouneh.org
الأردن - عمّان - الشميساني، دوار المدينة الرياضية، شارع باب الأسود، مبنى رقم ٨
ص.ب ٣٩٠٠عمّان ١١٩٥٣ الأردن
تلفاكس: ٩٦٢٦٥٠٥٢٨٢٩+
خلوي: ٩٦٢٧٩٥١٢٢٢٩+
موقع المجلة الإلكتروني:
alhannouneh.org

سعر النسخة ٢,٥٠ دينار أردني
أو ما يعادله
قيمة الاشتراك السنوي لأربعة أعداد شاملًا خدمة التوصيل:
داخل الأردن ١٦ ديناراً أردنياً أو ما يعادلها
خارج الأردن ٢٥ ديناراً أردنياً أو ما يعادلها

ذاكرة مكان

موقع محافظة الكرك على خريطة الأردن



لسري لهم بالليل

لسري لهم بالليل هيه على هيه
حيهم الكركيه حي زلام الهيه*
مثل العروس الكرك والهيبه طرحتها
ما يقربوها العدى وما يدنو ساحتها
والكرك يا ديرتي هي الأصل هيه
وقدورهم فواره والنار وقاده
لو تنخاهم يلبوا والرقاب سداده
هم فكاكين النشب مقريين الضيف
ما ينداسلهم طرف ما يرضوا بالحيف

والكرك يا ديرتي هي الأصل هيه
الأمجاد تشرش هون بين شقوق صخورها
تضوي شمسك يا تاريخ عجبالها وغورها
فوق رمالها أثر من حوافر خيلها
وبسماها لمع سيوف تبرق برق بليلها

والكرك يا ديرتي هيه الأصل هيه

* الهيه الاسم المتعارف عليه لثورة الكرك على الحكومة العثمانية عام ١٩١٠م بقيادة الزعيم قدر المجالي.

الحنونه
للثقافة الشعبية

تنوع في إطار الوحدة





مُول الفرّان ..
عادات وتقاليد الخبز في المغرب

ناسمي محمد (*)

مقدمة

يأتي هذا المقال للكشف عن مهنة من المهن الشعبية هي مهنة (مُول الفَرّان) أو الخَبّاز، وتوثيقها بوصفها وحدة ثقافية متكاملة لها وشائج وعلاقات مع عناصر أخرى من التراث الشعبي، مثل: المعتقدات، والعادات، والأدب الشعبي... كونها تمثّل انعكاسًا لمكوّن ثقافي شعبي مغربي بمختلف أبعاده وعناصره، وتجاوز دراستها وتوثيقها بوصفها مهنة شعبية مغلقة، والتركيز فقط على جانب واحد منها، مثل: المعارف، والمهارات، أو الأدوات التي تعتمد عليها، مقابل تهميش باقي العناصر الأخرى وإقصائها.



ثقب العجين لضمان جودة الإنضاج

تعريف مُول الفرّان

مُول الفَرّان أو الفَرارْني أو الخَبّاز أو المُعلّم أو الطَّيّاب أو (الحَفْيْري)[1]؛ كلها أسماء تدل على الشخص المكلف بإنضاج خبز أهل الحي في الأفران التقليدية، وهي من المهن الشعبية الخدماتية التي ارتبطت بالمناطق الحضرية خاصة، والتي لعبت دورًا كبيرًا في توفير خدمة إنضاج الخبز، إضافة إلى إنضاج مجموعة من المأكولات والمشويات لسكان الحي. وبما أن الخبز هو غذاؤهم الرئيس وترتبط به أطباقهم ووجباتهم جميعها، فقد تزايدت أهمية مُول الفَرّان داخل (الحومات) والأحياء الشعبية.

يبدأ مُول الفَرّان عمله في الصباح الباكر في السابعة صباحًا تقريبًا، بإشعال النار لإحماء الفرن (بيت النار). وبعد تحوّل الخشب إلى رماد، يعمل على مراكمته في إحدى زوايا الفرن البعيدة، ثم ينظّف جوف الفرن بقطعة ثوب تسمى (الكنّاس)، بعدها يبدأ بإلقاء أقراص العجين بـ(المَطْراح) التي يحرص على أن تكون في صفوف عمودية ومتوازية حتى يسهل عليه تذكّرها واسترجاعها، ومع اقتراب نضج الخبز يطلب من (الطَّرّاح) قلب (الطَّرْحَة) من أجل إخراج الخبز وإرجاعه للوصلات.

ولمُول الفَرّان مكانة كبرى في حياة كل حي شعبي في المغرب، ما يجعله يرتبط بعلاقة حميمة بأهل الحي؛ فهو يعرف حالهم، ومستوى عيشهم. وبذلك انتقل «من شخص عادي وأحيانًا دون العادي إلى مرتبة الأعيان، وكانت له مكانة اجتماعية متميزة»[2].

ويساعد الطَّرّاح مُول الفَرّان في عمله، إذ لا يمكن تخيل عمل مُول الفَرّان من دون مساعدة الطَّرّاح.

الطَّرّاح مساعد مُول الفرّان

الطَّرّاح نسبة إلى طَرْحَة الخبز، هو مساعد مُول الفَرّان ومتعلم عنده، يبدأ في سن صغيرة ويلبث فيها سنتين إلى ثلاث سنوات، وخلالها يبدأ الطَّرّاح بملاحظة عمل مُول الفَرّان، ثم بعد قضاء هذه المدة؛ يدفعه هذا الأخير بين الفينة والأخرى؛ ليتعامل مع بيت النار[3].

أنواع الطَّرّاحة

طرّاح داخلي: هو النوع المعروف حاليًا، وهو الشخص الذي يساعد مُول الفَرّان داخل الفرن، ويبدأ عمله بتسلم لوحات الخبز (الوْصَالِي) من أهل الحي، وركنها مباشرة في الرفوف (الطاجِيرات)؛ ليترك العجين حتى يختمر، بعدها يقوم بتقديم (الوْصَالِي) للمعلم «الذي يسحب منه العجين بمهارة، ويأخذ الطَّرّاح الألواح ليرتّبها جانبًا وهكذا، وبعد اكتمال نضج الخبز تأتي عملية إعادته إلى الألواح الخشبية بالترتيب فيطلب المعلم إلى الطَّرّاح أن يقلب الطَّرْحَة»[4]، وفي النهاية يسلّم الطَّرّاح الخبز بعد نضجه لأصحابه، ويأخذ أجرة الخَبْز منهم.

طرّاح خارجي: انقرض هذا النوع من الطَّرّاحَة، وكان يطوف أزقة الحومات والأحياء الشعبية، «ويجمع ألواح العجين من أمام البيوت، وقد جاءت هذه المهمة لتعوض عادة تاريخية اختفت، ذلك أن ربات البيوت لم يكن يحملن العجين بأنفسهن»[5]، ليتكفّل هو بمهمة إيصال العجين إلى الفرن.



قطع من العجين



تحضير العجين للخبز

الفرن: يسمى في المغرب الفَرّان، وقد ظهر أول مرة في البوادي المغربية، وكان من نوع الأفران العائلية، التي كانت تشيّدها الأسر من أجل إنضاج الخبز الذي تعد[٥] ربات البيوت، ومع التحولات التي شهدها المغرب؛ انتقل إلى المدن ليتطور في ما بعد على شكل أفران شعبية عمومية، و«أصبحت للفَرّان أهمية كبرى في حياة أهل الحي أو الدرب أو الحومة؛ لتلبية حاجيات السكان العادية وغير العادية، ومنها: إنضاج الخبز، والحلويات، والمشويات، وغيرها»[٦].

ويتكوّن الفَرّان هندسيًّا من فناء مجهز برفوف حديدية تسمى (الطاجيرَات) يرتّب فيها الطَّرّاح لوحات الخبز، وبيت النار وهي غرفة مربعة الشكل في الغالب، تكون أرضيتها مرصوفة بقطع طينية من الآجر، وهي شديدة الإغلاق بها فتحة صغيرة على شكل نافذة تغلق بصفيحة حديدية؛ وتأتي هندسة الفرن بهذا الشكل من أجل العزل الحراري والرفع من كفاءته الحرارية، وتشرف فتحة الفَرّان على حفرة مستطيلة الشكل، يرمي فيها مُول الفَرّان جسده[٧]، إلى أن يختفي حد خصره، كما يتصل الفَرّان من السقف بمدخنة ينفث عبرها أدخنته.

ويعد الفَرّان من المرافق الأساسية في الأحياء الشعبية إلى جانب المسجد والحمام، ولا يخلو حي من هذه الأحياء من هذا المرفق الحيوي، ويختلف شكل الأفران الشعبية في المغرب وطرائق تزيينها من منطقة إلى أخرى، وتعكس بذلك البيئة والثقافة المحلية للمنطقة التي توجد فيها[٨].

أدوات مُول الفَرّان

يستعمل مُول الفَرّان مجموعة من الأدوات التي تعينه على عمله، والتي يمكن إجمالها في الجدول الآتي:

الأدوات	التعريف بها
الطَّرْحَة	مجموع وَصْلات الخبز أي الألواح الخشبية، التي يتم ترتيبها عند دخول الخبز تصاعديًّا؛ عند رمي مُول الفَرّان الخبز في جوف الفرن، وعند نضج الخبز؛ يقلب الطَّرّاح وصلات الخبز تنازليًّا، حتى يتم وضع كل خبز في وصْلَته.
المَطْراح	يسمى أيضًا أسماء أخرى مثل الرَّماي، وهو لوح على شكل مجداف القوارب، يصنع من الخشب، ويستخدمه مُول الفَرّان لرمي الخبز في جوف الفرن وكذلك لاسترجاعه بعد نضجه، ويتجاوز طوله مترين.
الحَوَّال	قضيب حديدي يبلغ طوله أكثر من (٣) أمتار، يوظَّف أحيانًا لتقليب الخبز في أثناء عملية الإنضاج، كما يستعمله بعد ربطه بالكَنّاس من أجل تنظيف جوف الفرن من الرماد قبل رمي الخبز.
الكَنّاس	مشتق من عملية الكنس، وهو خرقة من الثوب يتم ربطها بالحَوّال؛ من أجل تنظيف جوف الفرن من الرماد الناتج عن احتراق الخشب.
البالَة	مجرفة حديدية، يستعملها مُول الفَرّان بعد الانتهاء من إنضاج الخبز؛ من أجل جمع الرماد الناتج عن احتراق الخشب من جوف الفرن، وتساعده كذلك في تنظيف الفرن.
السَّطْل	وعاء حديدي ذو شكل أسطواني، يتم فيه جمع الرماد الذي تم كنسه بوساطة البالَة من الفرن، وله عروتان يُحمل بهما.
الطَّاجيرات	تسمى أيضًا (الشَّارِيُو)، وهي رفوف حديدية مشدودة إلى الحائط، يتم وضع الألواح الخشبية (وصالي الخبز) عليها[٩].

وقود الفرّان

تعتمد الأفران الشعبية المغربية على الحطب وقودًا لها، كما تستعمل نشارة الخشب؛ أي مخلفات ورشات النجارة، إضافة إلى الخشب القديم الناتج عن بقايا الأثاث المستعمل. لكن، يلاحظ مؤخرًا أن بعض الأفران التقليدية بدأت تعوّض الخشب بالوقود (الديزل أو المازوت) وقودًا لها.

خبز الدار

يسمّى بذلك تمييزًا له عن الخبز الذي يتم في المخابز، وتتكلف ربات البيوت في الأحياء الشعبية بإعداد خبز الدار، وتمر عملية الإعداد بمراحل؛ حيث يُحضر العجين الذي يتكون من (الطحين والماء والملح والخميرة)، بعدها تُخلط المكونات، وتحرص النساء على نفاذ الماء في كل أنحاء العجين؛ ولأجل ذلك يلجأن إلى دلكه. وكلما استغرقت عملية العجن مدة أطول زادت جودة الخبز. وبعد العجن، تُقطع قطع صغيرة من العجين وتشكل أقراص تسمّى (التكْراص)، بعدها يتم وضعها على لوح خشبي وتغطيتها بمناديل وأغطية ثقيلة لتسريع عملية التخمير، وحالما تنتهي تحدث ربات البيوت ثقوبًا في كل قرص خبز؛ لتجنّب انتفاخه داخل الفرن في أثناء عملية التنضيج. ومن المثير أن هذه الثقوب ليست مجرد أشكال في حد ذاتها، بل هي رموز وعلامات تميّز خبز كل ربة بيت من نساء الحي، وهي مرآة تعكس أحاسيس وانفعالات ربات البيوت، كما تعكس حالاتهن النفسية والاجتماعية والثقافية.

وتختلف أنواع الخبز التي يعمل مُول الفَرّان على إنضاجه «باختلاف مادة صنعه: دقيق شعير، أو دقيق حنطة، أو دقيق الذرة»[١٠]، ويعد نوع الدقيق مؤشرًا اجتماعيًّا يعكس المستوى الاجتماعي للأسر وأصولها الإثنية.

العادات والتقاليد المرتبطة بمُول الفَرّان

كان الفرن الشعبي يشكّل ملتقى يوميًّا لقاطني الحي «نساءً ورجالًا وأطفالًا، وفيه نسجت مجموعة من العلاقات العاطفية



مفارش الخبز

> «ارتبطت مهنة مُول الفَرّان كغيرها من المهن الشعبية عبر الزمان بمجموعة من المعتقدات، يتعايش فيها المعتقد الديني الإسلامي بالتدين الشعبي، ما شكّل «تركيبًا دينيًا يضم معتقدات متعددة ومتفاعلة»»

التي شاعت أحداثها بين سكان الحي، وتوج بعضها بالزواج»[11]، وفيه تجد نساء الحي فرصة لتبادل أطراف الحديث والأخبار في انتظار نضج خبزهن، «تمامًا كما هي عادتهن في جلسة حمام الحي؛ أي بهوه»[12].

ومن العادات الأخرى المرتبطة بمُول الفرّان نجد (السُّخْرَة)؛ ذلك أن ربات البيوت في الغالب لا يحملن العجين إلى الفرّان؛ فكان المارة من الزقاق سواء أكانوا أطفالًا أم شبابًا، يتكفّلون بحمل العجين إلى الفرّان، وفي هذه العادة نوع من الاحترام والتقدير لربات البيوت. وخلال الأعياد الدينية التي يسميها المغاربة (العْواشَر)، مثل عيد الفطر وعاشوراء، يتلقّى مُول الفرّان كرمًا من أهل الحي؛ بإعطائه قدرًا من المال.

كما يتناول من كل لوحة حلويات يعمل على إنضاجها ثلاث قطع من الحلوى، أما في المناسبات التي يقيمها سكان الحي، مثل الأعراس والأفراح؛ فيتم إعطاء مُول الفَرّان جزءًا من الحلويات والمشويات التي ينضجها في إطار عادة (التّذْواق)، التي كانت منتشرة في الأحياء الشعبية المغربية.

ومن بين ما جرت به العادة أيضًا؛ أن الأسر المغربية كانت تلجأ لمُول الفَرّان للسؤال عن عائلة جاءت لطلب ابنتها للزواج؛ فيجدون لديه ما سيبنون عليه قرارهم، أو البحث عن بيت للكراء (الإيجار)، وغيره من الأمور التي يستنجد الناس بمُول الفَرّان لمساعدتهم ومشاورته فيها.

ولا يخلو عمل مُول الفَرّان من متاعب أيضًا، حيث يتحمّل مسؤولية حرق الخبز وغيرها من الأطعمة، وأحيانًا يتعرّض للتغريم بدفع الخسارة من جيبه، وهو ما يعبّر عنه ويصفه المثل المغربي «بْحَال مُول الفَرّان؛ وَجْهُ للنّار وظَهْره لَلعار».

المعتقدات المرتبطة بمُول الفَرّان

ارتبطت مهنة مُول الفَرّان كغيرها من المهن الشعبية عبر الزمان بمجموعة من المعتقدات، يتعايش فيها المعتقد الديني الإسلامي بالتدين الشعبي، ما شكّل «تركيبًا دينيًا يضم معتقدات متعددة ومتفاعلة خلال قرون عدة»[13]، ومن هذه المعتقدات:

يبدأ مُول الفَرّان عمله بالبسملة والصلاة على النبي ثلاث مرات، وعند الانتهاء من كل طرحة يصلي على النبي، وكذلك عند الانتهاء من العمل خلال اليوم يصلي على النبي، بقول «بسم الله، اللهم صلِّ عليك يا رسول الله».

يتجنّب مُول الفَرّان والطَّرّاح إطفاء النار بالماء بعد الانتهاء من العمل، وخاصة في الليل؛ خوفًا من المس بالجن.

يتزايد طلب نسوة الحي على قبس من نار الفرن، خلال مناسبتي ليلة القدر وعاشوراء، مقابل قدر من المال؛ وذلك لاستعماله في طقوس السحر.

تطلب النساء الكنّاس الذي ينظّف به مُول الفَرّان بيت النار من الرماد؛ لاستعماله في طقوس الشعوذة والسحر.[14]

يُعتقد أن خبز الدار الذي يتكلف مُول الفَرّان بإنضاجه فيه الخير والبركة، مقارنة مع أنواع الخبز الأخرى، وهو ما يجعل المغاربة عند مصادفتهم لكسرة خبز في قارعة الطريق، يقومون بتقبيلها ووضعها على الجانب، في مكان يحميها من الدوس بالأقدام.

مول الفران في الأدب الشعبي المغربي

يسهم الأدب الشعبي إسهامًا كبيرًا في إبراز عادات وتقاليد ونمط عيش أي مجتمع من المجتمعات، ويصور المعاني ويكشف اللبس عند المتلقي؛ لذا، مثلت أشكال الأدب الشعبي الخاصة بمهنة مُول الفَرّان وصفًا وتصويرًا دقيقًا لسلوكاته وأساليبه ومشاكله وتناقضات مهنته.

الأمثال الشعبية: (تُقرأ باللهجة المغربية)

بْحَال مُول الفَرّان؛ وَجْهُ للنّار وُظَهْرهُ للعَار.
باين لَحْيا في وْجَهْ الطَّرّاح.
فَرّان وُقاد بْحُومَة.
خُبْز الدّار مَا يَكْلُوا البَرّاني.
نِدير خُبْزي تَحْت بَاطِي، وما نَسْمَع حَد عِيّاطِي.
قالُوا لَلفَرّان منِين جَاتَك العافيَة؟ قَالِيهُم مِن فُمِّي.
خُبْزَة وخُبْزَة عَنْد مُول الفَرّان، نَبْزَة بنَبْزَة عَنْد مُول الدّار.
أَللِّي مَا قْنَع بخُبْزَة؛ إِقْنَع بْنُصْها.

الأحاجي الشعبية: (تُقرأ باللهجة المغربية)

حاجِيتَك مَا جِيتَك، عْلَى الْفَا بَنْت الْفَا، دِيمَا عَافِيْتها شَاعْلَة. الحل: (الفَرّان).

شُوشُو بَنْ شُوشُو، النَّعْمَة فِكَرْشُو والزِّبَل فْخَنْشُوشُو. الحل: (الفَرّان).

حَاجِيتَك مَا جِيتَك، عْلَى حَاجَة تَدْخُل مَبْلُولَة أُو تَخْرُج يَابْسَة. الحل: (الخُبْز).

نكت شعبية: (تُقرأ باللهجة المغربية)

هَادَا وَاحَدْ الطْلَّابْ[15] مْشَا عَنْدْ وَاحَدْ مُولْ الفَرَّانْ مَسْمُومْ، قَالْ لِيهْ: خُويَا هَذِي سِيمَانَة مَدَقْتْ الخُبْزْ، قَالْ لِيهْ مُولْ الفَرَّانْ المَسْمُومْ: رَاهْ مَدَاقُو بَاقِي هُوَ هُوَ مَتْبَدَّلْش.



مفارش الخبز

قَالِّيك هَذِي وَاحَدْ المْرَا مْشَاتْ عَنْدْ مُولْ الفَرَّانْ، دَّاتْ لِيهْ جُوجْ خُبْزَاتْ أُو بْقَاتْ كَاتْسَنَّا فِيهُمْ حَتَّى طَابُوا، أُو هِيَّ تْهَزْهُمْ، قَالْ لِيهَا مُولْ الفَرَّانْ خَلْصِينِي؟ قَالَتْ لِيهْ اخَلْصَّكْ الله.
هَادَا وَاحَدْ مُولْ الفَرَّانْ كَانُوا مْسَمِّينْ عْلِيهْ الحَاجْ الخُبْزَة، هُو يْسَافَرْ لْمِرِيكَانْ بَاشْ النَّاسْ انْسَاوْ اسْمِيتُو، بْقَا عَامْ وْهُو يَرْجَعْ لَلْمَغْرِبْ إِشُوفْ وَاشْ النَّاسْ نْسَاوْ اسْمِيتُو لِكَانُوا مْسَمِّينْ عْلِيهْ، وَاحَدْ النْهَارْ تْلَاقَا مْعَ وَاحَدْ صَاحْبُو قَالِّيهْ: وَاشْ أَنْتَ هُوَ الحَاجْ الدْقِّيقْ وْلَا الحَاجْ المَا قَالِّيهْ: مُولْ الفَرَّانْ: تْخَلَطْهُمْ نْخَلَّطْ مُكْ(١٦).

الشعر الشعبي

من أشهر قصائد الشعر الشعبي التي نظمت حول مهنة مُول الفَرّان، قصيدة الملحون «الفَرَّانَة» للشاعر بلعيد السوسي، استجابة لطلب صديقه عبد الرحمن السليماني، صاحب فرن تقليدي بمدينة تازة حين حل ضيفًا عليه، والتي حاول الشاعر عن طريقها خلق نوع من الفرجة انطلاقًا من القصيدة.

الحربة: (تُقرأ باللهجة المغربية)

لله يَا الفَرَّانَةْ لِيكُمْ جِيتْ دَاعِي مُولْ الفَرَّانْ دِيمَا خُبْزِي عَنْده عْدُو فْرَّانُهْ

القسم الأول

قَالْ يَا انَا سِيدِي لله يَا الفَرَّانَةْ كِي مَاشِي نْدِيرْ، فَرَّانْ جَا فْحُومتْنَا وَحْلَفْ مَا يْسَبَّقْنَا وَلَا بْغَا حْلَاوِتْنَا، دِيمَا مْخَاصِمْ مْعَانَا وَمْعَ عْجِينْنَا طَالِعْ لُه طُولْ الزّْمَانْ، وَعْيِيتْ مَا نْسَاعِفْ فِيهْ وِشْحَالْ مَا نْحَزَّرْ فِيهْ وَاللِّي احْتَاجْ كَنْعْطِيهْ، دِيمَا فِي كُلْ سِيمَانَة انْجِيهْ بِالبْشَارَة عَنْده زَرْبَانْ، وَحْلَفْ عَنْ خُبْزِي مَا يْدِيرْ لُه شَانُه.

القسم الثاني

مَرَّة يْسِيفْطُه مْشَوَّطْ مَرَّة فْطِيرْ، مَرَّة يْقُولْ لِيك جْلَاهْ وَاللِّي حْتَا عْلِيهْ ادَّاهْ حَتَّى لِبْدَالْ مَا خَلَّاهْ، وَانَا مْسَاعِفْ الجَانَةْ عَسَى يْصِيبْ لِينَا غِيرْ الوَصْلَة تْبَانْ، الله يْدِيرْ شِي تَاوِيلْ مِنْ صَانْعُه قْلِيقْ هْبِيلْ جْلَّانَا حَتَّى المَنْدِيلْ، دِيمَا مْفَسَّدْ عْشَانَا، فْطِيرْ خُبْزْنَا كْحَلْ بْالدُّخَانْ، وَانَا سُكَّارِي مَا خْطَاشْ بِرْقَانُه.

القسم الثالث

دَرْنَا سْبُوعْنَا اتْزَادْنَا صْبِي صْغِيرْ، اتَّافْقُوا لْنَا العْيَالْ عَمْلُوا شْوِيَّشْ مَنْ الْفَالْ غْرِيبَةْ وَكَعْبْ غْزَالْ، وَدِّتْهُمْ لُو أَنَا عَسَى يْشُوفْ وَجْهِي يَعْمَلْ لِي شِي حْسَانْ، ويْدِيرْ طِيَابْ ظْرِيفْ ويْكُونْ فِي لِيمِنْ خْفِيفْ وَيْطَرْحُه طْرِيحْ لْطِيفْ، الدَّارْ كَاعْ فَرْحَنَا ومَلِّي مْشِيتْ لُه بِيدِّي يَا لِخْوَانْ، كَحَّلْ لِينَا فْقَّصْنَا بْدُخَانُه.

القسم الرابع

دِرْنَا قْرِيشْلَاتْ نْهَارْ الْعِيدْ الكْبِيرْ، عَجْنَتْهُمْ خَالَتْنَا وَحَسْبَتْهُمْ عَمَّتْنَا وْرَشْمَتْهُمْ جَارَتْنَا، وديتهم بْالجَانَةْ وَمْنِينْ شَافْ فِيَا جَوْبْنِي بْالَحْسَانْ دْوَا، وْقَالْ لِّي نْهَارْ سْعِيدْ تْهَلَّا لْنَا فْحَقْ الْعِيدْ وَحقْنَا مَنْ القَدِّيدْ، وَجِيبْ حَقْ شَعْبَانَةْ وَجِيبْ لِي الفَطْرَة دَا شْهَرْ رَمْضَانْ، وٍالَا جِبْتِ الَفَقَّاصْ جِيبْ ثْمَنُه.

القسم الخامس

جَاوْ الَاحْبَابْ عَنْدِي عَجْنُوا نَاسِي كْثِيرْ، حَبُّوا يْفَطْرُوا الِضْيَافْ دَارُوا رْغِيفَاتْ خْفَافْ مَنْ الطْحِينْ دَا التِّزْرَافْ، ادَّاتْهُمْ مَرْجَانَة صَابَتْ صَانْعُه زعْفَانْ بِهَّمْ الزّْمَانْ، مْخُّه مِنْ الِكْيُوفْ خْوَا وَمْدَوْخَاهْ شِي حَلْوَة ثْمَّة اصْعَابَتْ الدَّعْوَة، وَصْلَتْ لِيهْ زَرْبَانَة عَنْهَا قْضَى وْقَامْ يَتْبَعْهَا زِعْفَانْ، يَنْكِي فِيهَا بْمْطَارْحُه وْعِيدَانُه.

القسم السادس

وَحْلَفْتْ غِيرْ نَمْشِي عَنْده وَلَوْ يْطِيرْ فَالْحِينْ، ثَمَّا مْشِيتْ لُه زَرْبَانْ وَمْشِيتْ بِالِبْطَرْ زِعْفَانْ لْعَنْده جْبَرْتْ شِي قُومَانْ، لِمْعَلْمُه مْشِيتْ انَا وَمْنِينْ شَافْنِي جَاوْبْنِي بْالِحْسَانْ، دْوَا وْقَالْ يَا الْحْبِيبْ ذَاكْ الِبْشِيعْ رَاهْ صْلِيبْ وْزَادْنِي كْلَامْ صْوِيبْ، لِيَّامْ رَاهْ زَرْبَانَة وَانْتَ حْبِيبْنَا بِالْقَلْبْ وَالِاكْنَانْ، وَتْصَالَحْنَا ثَمَّة فِي قَلْبْ فْرَّانُه.

القسم السابع

مَا قُالْتْ عِيبْ فِي الفَرَّانَةْ إِلَّا الْخِيرْ، مَنْهُمْ قَادْرِينْ صْحَاحْ غِيرْ الشّْخُوصْ وَالرَّجَاحْ عَامْلِينْ فِي البْلَادْ صْلَاحْ، وَصَنْعَتْهُمْ مِزْيَانَة حَاشَا نْذَمَّهَا مَرْفُوعَة هَمَّة وْشَانْ، وَانَا عْمَلْتْ فِي المِيزَانْ فَرْجَة لِلْذِي فْنَّانْ بِهَا يْوَنَّسْ الْعَشْرَانْ، ضَحْكَة مْعَ الفَرَّانَةْ فِي خَاطَرْ الْمْعَلَّمْ عَبْدْ الرَّحْمَنْ يْوَنَّسْ بِهَا صَانْعُه وَفْرَّانُهْ.

القسم الثامن

لله يَا الفَرَّانَةْ قَبْلُوا هْدَيْتِي فِي هَذْ الْمِيزَانْ، وَاسْمِي مَا يَخْفَى عَنْكُمْ شْهْرَانُه بَلْعِيدْ يَا الفَرَّانَةْ فِي أَرْضْ فَاسْ عَاشَرْتْ كَمْ مَنْ فَنَّانْ، مَا يْخَفَاشْ عَلْ الدّْهَاتْ طَرْزْ غِزْلَانُه، وَسْلَامْ يَا الفَرَّانَةْ نَهْدِيهْ لْلَاشْيَاخْ بِقَلْبِي فَرْحَانْ، مَا هَبْ الْيَاسْ وَاليَاسْمِينْ فِي اغْصَانُه، الجْحِيدْ يَا الفَرَّانَةْ مَا جَانِي الوَحْشْ الهَرْنَانْ، بَالْفِيشْ مْعَ الغَدَّة مْضَبَّعْ زْمَانُه، نَدْرِيهْ يَا الفَرَّانَةْ فَارْ السِّرُوبْ وَيْدُورْ فِي شِي غِيرَانْ، خَاصَّاتُه شِي قَطَّة تْخَرَّجْ اعْيَانُه، وَانَا يَا الفَرَّانَةْ تَكْلِي فِي خَالْقِي سُبْحَانُه سُبْحَانْ، يَمْحِي عَنِّي ذَنْبِي وَجْمِيعْ وِزْرَانُه، لله يَا الفَرَّانَةْ لِيكُمْ جِيتْ دَاعِي مُولْ الفَرَّانْ دِيمَا خُبْزِي عَنْده عْدُو فْرَّانُهْ.(١٧)

خطر زوال مهنة مُول الفَرّان

تعاني مهنة مُول الفَرّان الشعبية من خطر الزوال والاندثار؛ بسبب عدد من العوامل، منها:

صعوبة ظروف عمل مُول الفَرّان، الذي يتميّز بحرارة مفرطة وحارقة.
قلة الحوافز المادية والاجتماعية لهذه المهنة، كغياب التغطية الصحية، والضمان الاجتماعي، والتقاعد.
عزوف الشباب الحالي عن العمل بمهنة مُول الفَرّان.
غياب النظافة في أغلب الأفران التقليدية.
الارتفاع المتواصل لأسعار الخشب، الذي تعتمده هذه الأفران وقودًا لها.
غياب الأفران الشعبية ضمن مرافق الأحياء الحديثة البناء.
انتشار الأفران الغازية والكهربائية وانخفاض أسعارها؛ بسبب غزو المنتجات الحديثة للأسواق المغربية.
تغير نمط العيش لدى العديد من الأسر المغربية.(١٨)
خروج المرأة للعمل، وضيق الوقت لإعداد الخبز بطريقة تقليدية وإنضاجه في الأفران الشعبية. وهو ما جعل أغلب الأفران الشعبية بالمغرب تغلق أبوابها؛ لتغدو مُول الفَرّان من المهن الشعبية المغربية المهددة بالزوال والاندثار.

خاتمة

يظهر من هذا العمل التوثيقي لمهنة مُول الفَرّان، الذي ارتكز على العمل الميداني، أن كل مهنة من المهن الشعبية مرتبطة بشبكة من العلاقات مع باقي عناصر الثقافة الشعبية الأخرى، كالمعتقدات الشعبية، والعادات والتقاليد، والأدب الشعبي، والثقافة المادية... وبذلك، فهي تدخل ضمن نظام تراثي يشبه إلى حد كبير النظام البيئي، وهذا النظام التراثي هو تجمّع لمجموعة من العناصر التراثية التي تتفاعل مع بعضها بعضًا عبر نظام دقيق ومتوازن. وعليه، فإذا انقرضت مهنة مُول الفَرّان مثلًا؛ فلن يقتصر التأثير على هذه المهنة الشعبية فحسب، بل سيمس الاختلال النظام التراثي كاملًا في عناصره وعلاقاته وتفاعلاته؛ لذا، يجب أن نغير نظرتنا إلى التراث الشعبي، فهو ليس تراثًا ثقافيًّا ماديًّا ثابتًا وجامدًا. ومن ثم، فعملية الحفاظ على التراث الشعبي يجب أن تستفيد من علوم مشابهة لها، في البنية والتركيب والفلسفة وأهمها علم البيئة، وقد حان الوقت لعالم الفولكلور أن يستفيد من آليات عالم البيئة في الحفاظ على التراث الشعبي ■

(*) باحث في التراث الشعبي.

الهوامش:

١ - الفران الحفيري نسبة إلى الحفرة التي يدخل فيها أثناء اشتغاله.
٢ - محمد حجاج الطويل، «مادة الفران»، معلمة المغرب، ج ١٩، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ٢٠٠٤، ص ٦٤٤٩.
٣ - مقابلة ميدانية مع المعلم العوني العمر ٦٠ سنة ، ٢٠١٥/٠٩/١٠ الدار البيضاء، المغرب.
٤ - محمد حجاج الطويل، المرجع نفسه.
٥ - المرجع نفسه.
٦ - محمد حجاج الطويل، «مادة الفران»، معلمة المغرب، مرجع سابق.
٧ - تساعد حفرة مول الفران في عمله في أثناء رميه للعجين بالمطراح.
٨ - يعد التنوع في أشكال وأنواع الأفران الشعبية امتدادًا للتنوع في أنواع وأشكال الأفران العائلية في البوادي المغربية، مثل؛ فران عويطة بدكالة، تنور في جنوب المغرب...، فهي تؤشر إلى تنوع جغرافي لتراث الأفران المغربية.
٩ - المادة الإثنوغرافية التي في المقال تم جمعها سنة ٢٠١٦ من العمل الميداني في أثناء الإعداد لرسالة الماجستير حول موضوع توثيق الكنوز البشرية الحية في إقليم سيدي بنور، التي تمت مناقشتها شهر يوليو ٢٠١٦ في جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء.
١٠ - محمد حجاج الطويل «مادة الخبز»، معلمة المغرب، ج ١١، ص ٣٦٧٠.
١١ - محمد الماطي، فران الحومة مرفق في طريقة إلى الاندثار، جريدة العلم، يوم ٢٠١٠/٠٦/٠٨.
١٢ - المرجع نفسه.
١٣ - عبد الغني منديب، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، ط ١، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٦، ص ٤٠.
١٤ - مقابلة ميدانية مع المعلم العوني، العمر ٦٠ سنة، يوم ٢٠١٥/٠٩/١٢ الدار البيضاء، المغرب.
١٥ - الطَّلّاب يقصد به في اللهجة المغربية المتسول.
١٦ - مقابلة ميدانية مع محمد ركيك، العمر ٢٠ سنة، يوم ٢٠١٥/١٠/١٥ الدار البيضاء، المغرب.
١٧ - تم تدوين القصيدة بالاعتماد على القصيدة المدونة في: https://sites.google.com/site/starziko1/malhoun/qsydte-alfrante، والقصيدة الفرانة أداء سناء الناجي: https://www.youtube.com/watch?v=N8Nos3Xxqbw
١٨ - الملاحظة الميدانية، ومقابلات ميدانية مع مول الفران الجيلالي شعشاع، العمر ٥٣ سنة، وربات البيوت آمينة كرمة وحبيبة النقدي، بين ٢١-٢٠١٥/١٠/٢٤.